**شعراء النقائض:**

## الأخطل [1]:

هو أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت التغبي من أهل الحيرة، ليس له تاريخ ولادة محددة، إلا أنَّ الذي يرجحه الدارسون، أنه ولد في خلافة معاوية بن أبي سفيان، ومات سنة 92 هـ، لقب بالأخطل أي ((السفيه))، لخبث لسانه، وبذي الصليب؛ لأنه كان نصرانيا يعلق صليبًا على صدره، نشأ الأخطل في قبيلته (( تغلب ))، ذات التاريخ الحافل والمجد المؤثل، التي كانت تدين بالنصرانية، وأبت أن تنزل عن دينها للإسلام، ورضيت أن تدفع الجزية، فأقرها عمر على نصرانيتها، وكانت منازلها في العراق والجزيرة، فنشأ شاعرنا مزهوا بفضائل قومه، يحفظ أخبارها ويروي أشعارها، نشأ في بادية الجزيرة وصار بينه وبين شاعر تغلب الفذ كعب بن جُعَيْل هجاءً مرًّا كشف عن شاعر شاب في مقتبل العمر يستطيع أن ينهض في شعره، ويدافع عن مكارم قومه، وكانت تغلب من أهم القبائل التي وقفت مع معاوية، وكان أن حدثت بين الأمويين والأنصار (وكانوا مغاضبين لبني أمية) معركة شعرية احتاج يزيد بن معاوية فيها إلى لسان شاعر يدفع عنه ما أصابه من هجاء، فهاب الشعراءُ الأنصارَ وهجاءَهم، ولم يجد كعب بن جُعَيْل الشاعر الأموي فرصة أنسب من هذه كي يسقط الأخطل – منافسه – فدلَّ عليه بعدما اعتذر عن هجاء الأنصار، وقد أراد بهذا « أن يلقي خصمه في تهلكة لما ناله من شرِّ لسانه، فنفعه من حيث لا يريد » [2]، فهجا الأنصار واتصلت بعد ذلك أسبابه بالبيت الأموي حتى صار في عهد عبد الملك بن مروان شاعر الخليفة الرسمي، وترجع قصة دخول الأخطل حومة النقائض، أنَّ بشرا بن مروان أخو عبد الملك بن مروان دعاه إلى أن يحكم بين جرير والفرزدق، وأن يُفَضِّل أحدهما على الآخر، ففعل بعد تردد، ففضل الفرزدق على جرير نزولا عند طلب قوم الفرزدق الذين أكرموه، فهجاه جرير هجاء مرًا ورد الهجاء بمثله وتحولت معركة جرير معه إلى نقائض تضعضع فيها أمام جرير في بعض المواقف ولم ينهزم حتى آخر لحظة من حياته، وكان مولعا بشرب الخمر، مستهترا بأحكام الدين، وهو القائل لعبد بن الملك بن مروان لما طلب منه أن يسلم [3]:

| | |
|---|---|
| وَلَسْتُ بِصَائِمٍ رَمَضَانَ طَوْعًا | وَلَسْتُ بِآكِلٍ لَحْمَ الأَضَاحِي |
| وَلَسْتُ بِقَائِمٍ أَبَدًا أُنَادِي | قُبَيْلَ الصُّبْحِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ |
| وَلَكِنِّي سَأَشْرُبُهَا شَمُولًا | وَأَسْجُدُ عِنْدَ مُنْبَلَجِ الصَّبَاحِ |

وقد جعله ابن سلام في الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين، واتفق النقاد على أنه واحد من ثلاثة هم أشعر أهل عصرهم، بل إن من النقاد واللغويين من يفضله على صاحبيه كحمَّاد الراوية وأبو عبيدة، وكان يُشبَّه بالنابغة الذبياني، وقد

[1] – يُنظر للاستزادة : إيليا الحاوي، الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط02، 1981.

[2] – بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار مارون عبود، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 317.

[3] – الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 1994، ص 72.

سأل جريرا ابنُهُ، أأنت أشعر أم الأخطل ؟ فقال : « يا بنى، لو أدركني الأخطل وله ناب آخر لأكلني، ولكنى أعنت عليه بخصلتين :كبر سنٍّ، وخبث دينٍ » [1]

**نموذج من نقائض الأخطل [2] :**

| | |
|---|---|
| أمَّا كُلَيْبُ بن يَرْبُوع فَلَيْسَ لَهُم | عِنْد التَّفَارُطِ إِيرَاد وَلَا صَدَرُ |
| مُخَلَّفُونَ ويقضِي الناسُ أمرَهُمُ | وَهَمْ بِغَيْبٍ وَفِي عَمْيَاءَ مَا شَعَرُوا |
| بِئْسَ الصُّحَاةُ وَبِئْسَ الشرْبُ شَرْبُهُمْ | إِذَا جَرَى فِيهِمِ المُزَّاءُ وَالسُّكُرُ |
| قَوْمٌ تَنَاهَتْ إليهِمِ كلُّ مخزيةٍ | وَكُلُّ فاحشةٍ سُبَّتْ بِهَا مُضَرُ |
| الآكِلُونَ خَبِيثَ الزَّادِ وَحْدَهُمُ | وَالسَّائِلُونَ بِظَهْرِ الغَيْبِ مَا الخَبَرُ |
| يَتَّصِلُونَ بِيَرْبُوعٍ وَرِفْدُهُمُ | عِنْدَ التَّرَافُدِ مَغْمُورٌ وَمُحْتَقَرُ |
| صُفْرُ اللِّحَى مِنْ وَقُودِ الأدْخِنَاتِ إِذَا | ردَّ الرِّفَادُ وَلَفَّ الحَالِبَ القِرَرُ |
| ثمَّ الإِيَابُ إلى سُودٍ مُدَنَّسَةٍ | مَا تَسْتَحِمُّ إِذَا مَا احْتَكَّتِ النُّقَرُ |
| وأَقْسَمَ المجدُ حَقاً لَا يُحَالِفَهُمْ حَتَّى | يُحَالِفَ بَطْنَ الرَّاحَةِ الشَّعَرُ [3] |

**أبيات سائرة للأخطل في فن النقائض :**

| | |
|---|---|
| وَإِذَا وَضَعْتَ أَبَاكَ فِي مِيزَانِهِمْ | رَجَحُوا وَشَالَ أَبُوكَ فِي المِيزَانِ |
| قَوْمٌ إِذَا أَكَلُوا أَخْفَوا كَلَامَهُمْ | وَاسْتَوْثَقُوا مِنْ رِتَاجِ البَابِ وَالدَّارِ |
| قَومٌ إِذا اسْتَنْبَحَ الأَضْيَافُ كَلْبَهُمُ | قَالُوا لأُمِّهُم بولِي عَلَى النَّارِ |
| فَتَمْنَعُ البَوْلَ شُحًّا أَنْ تَجُودَ بِهِ | وَمَا تَبُولُ لَهُمْ إِلَّا بِمِقْدَارِ |
| وَالخُبْزُ كَالعَنْبَرِ الهِنْدِيِّ عِنْدَهُمُ | وَالقَمْحُ خَمْسُونَ إِرْدَبًّا بِدِينَارِ |

**الفرزدق :**

هو أبو فراس همَّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارميّ، لقب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه (( والفرزدق هو الخبزة الغليظة )) ، ولد بالبصرة سنة 20 هـ، ونشأ في باديتها، ينتهي نسبه إلى بيت شرف وسؤدد لا تُدْفع مآثره، وكان لذلك أثر شديد في نفسيته، إذ كان يعتدُّ بآبائه اعتدادًا شديدًا، حتى أولئك الذين عاشوا في العصر الجاهلي، فقد كان أبوه من

---

[1] – أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1995، ص 163.

[2] – هذه القصيدة من أشهر قصائده، زعم الأخطل أنه أفنى في نظمها حولا ما بلغ كل ما أراد، ومطلعها :

| | |
|---|---|
| خفَّ الْقطِينُ فَرَاحُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا | وَأَزْعَجَتْهُمْ نَوًى فِي صَرْفِهَا غِيَرُ |

***

[3] – الديوان، شرحه وصنف قوافيه وقدم له : مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 1994، ص 109- 110.

أجود العرب، وأم ليلى بنت حابس أخت الصحابي الجليل الأقرع بن حابس، وجده صعصعة من الصحابة كان يحيي المؤودة في الجاهلية، وكذلك يفخر بعشيرته بني دارم وقبيلته تميم، وقد كان منذ نشأته قوي البيان محبًا للخصومات، يهجو من حوله من قومه ومن غيرهم، حتى قاده حبه للخصومة إلى أرض المعركة بينه وبين ندِّه جرير، فاشتعلت بينهما معركة النقائض، صال الفرزدق فيها وأشعلها حربًا لا هوادة فيها على خصمه، واتخذ من نسبه ومكانة عشيرته سلاحه الذي يشْهره في وجه جرير فيدفعه إلى مضايق الطرق، يقول محمد بن سلام الجمحي عن نقائض جرير والفرزدق : « لم يتهاج شاعران فِي الْجَاهِلِيَّة وَلَا الْإِسْلَام بِمثل مَا تهاجيا بِهِ »[1]، واستمرَّت معركتهما أكثر من أربعين عاما، لم يغلب فيها أحدهما صاحبه، وقد اشتبك من أجل ذلك مع كثير من الشعراء، هجاهم وهجا قبائلهم، كما كانت علاقته في أول شبابه مع الولاة غير محمودة؛ فهو متقلب المزاج، فمرة يظهر ولاؤه لبني أمية فيمدحهم، ومرة ترى أن هواه مع أبناء علي وشيعته فيمدحهم، ولعل هذا ما اضطره لترك العراق إلى المدينة المنورة، واستمرت علاقاته غير محمودة حتى آخر أيامه، وقد حُبِس في عهد هشام بن عبد الملك.

وقد كان مع جودة شعره وفخامة عبارته وجزالة لفظه في الفخر والمدح والهجاء، يقصر عنهما في الغزل والرثاء؛ حيث كان فيهما متصلب العاطفة جافيها، وكان يتهم بسرقة شعر غيره، وله في هذا قصصٌ كثيرة.

وضعه ابن سلام في الطبقة الأولى من شعراء الإسلام، وقد حفل ديوان الشعر العربي بكثير من أبياته التى صارت مضربًا للمثل والاستشهاد، يُشَبَّه شعره بشعر زهير بن أبي سلمى، فضله كثير من النقاد على صاحبيه جرير والأخطل كالمفضل الضبي ويونس بن حبيب، ويعدُّ أحد مصادر اللغة، حتى قيل عنه: « لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة » و « لولا شعره لذهبت نصف أخبار الناس »

توفي في بادية البصرة، وقد قارب المئة عام، سنة 114هـ.

## نموذج من نقائض الفرزدق[2]:

| | |
|---|---|
| كَسَعْتُ ابْنَ المرَاغَةِ حَينَ وَلَّى | إلى شَرِّ القَبَائِلِ وَالدِّيَارِ |
| إلى أهْلِ المِضَايِقِ مِنْ كُلَيبٍ | كِلَابٌ تَحْتَ أَخْبيةٍ صِغَارِ |
| نِسَاءٌ بِالمِضَايِقِ مَا يَوَارِي | مَخَازِيهُنَّ مُنْتَقَبُ الخِمَارِ |
| وَلَوْ تُرْمَى بِلُؤْمٍ بِنِي كُلَيبٍ | نُجُومُ اللَّيلِ مَا وَضَحَتْ لِسَارِي |
| وَلَو لَبِسَ النَّهارَ بَنُو كُلَيبٍ | لَدَنَّسَ لُؤْمُهُمْ وُضَحَ النَّهَارِ |
| وَمَا يَغْدُو عَزِيزُ بَنِي كُلَيبٍ | لِيَطْلُبَ حَاجَةً إلاَّ بِجَارِ |

[1] – طبقات فحول الشعراء، ج02، تح :محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية، دط، دت، ص 389.

[2] – الديوان،شرحه وضبطه وقدم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1987، ص305.

**أبيات سائرة للفرزدق في فن النقائض :**

| | |
|---|---|
| مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلٍ أَهجَوْتَهَا | أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ البَحْرَانِ |
| أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ | إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ المَجَامِعُ |
| إِنَّ المَكَارِمَ يَا كُلَيْبُ لِغَيْرِكُمْ | وَالخَيْلُ يَوْمَ تَنَازُلِ الأَبْطَالِ |
| يَا ابنَ المَرَاغَةِ كَيْفَ تَطْلُبُ دَارِماً | وَأَبُوكَ بَيْنَ حِمَارَةٍ وَحِمَارِ |
| إِنَّا لَنَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ | وَأَبُوكَ خَلْفَ أَتَانِهِ يَتَقَمَّلُ |
| فَهلْ أَحَدٌ يَا ابْنَ المَرَاغَةِ هَارِبٌ | مِنَ المَوْتِ إِنَّ المَوتَ لَابُدَ نَائِلُهْ |
| وَإِنِّي أَنَا المَوتُ الذِي هَوَ ذَاهِبٌ | بِنَفْسِكَ فَانْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ مُحَاوِلُهْ |

**جرير [1] :**

هو أبو حَزْرة جرير بن عطية بن حُذَيْفة، وهو جده، الملقَّب بـ الخَطفَى، من كُلَيْب ثم من يربوع ثم من تميم ، وُلد بإحدى قرى اليمامة في نجد، أمه حُقة بنت مُعَيْد كُلَيْبيَّة مثل أبيه.

هو من أسرة تقصر عن أسرة الفرزدق جاهًا وشرفًا، ونشأ في بيئة بدوية يتوارث أبناؤها الشعر، وقضى صباه وشبابه يرعى غنم أبيه في وادي المروت، وقد كان أبوه لا يقارن مجدا وسؤددا من والد الفرزدق، ودليل ذلك « أن رجلا قَالَ لجرير من أشعر النَّاس؟ قَالَ قُم حَتَّى أعرفك الْجَواب، فَأخذ بِيَدِهِ وَجَاء بِهِ إِلَى أَبِيه عَطِيَّة، وَقد أَخذ عَنْزًا لَهُ فاعتقلها وَجعل يمص ضرْعهَا، فصاح بِهِ : اخْرُج يَا أَبَت، فَخرج شيخ دميم رث الْهَيْئَة، وَقد سَالَ لبن العنز على لحيته، فَقَالَ : أَتَرَى هَذَا؟ قَالَ : نعم، قَالَ : أَو تعرفه ؟ قَالَ : لَا، قَالَ : هَذَا أبي، أفتدري لم كَانَ يشرب لبن العنز؟ قلت : لَا قَالَ : مَخَافَة أَن يسمع صَوت الْحَلب فيطلب مِنْهُ لبن، ثمَّ قَالَ : أشعر النَّاس من فاخر بِمثل هَذَا الْأَب ثَمَانِينَ شَاعِرًا وقارعهم بِهِ فَغَلَبَهُمْ جَمِيعًا» [2] ، وقد كان جرير من أعقِّ الناس لأبيه، فدرج على ذلك ابنه بلال، فلم ينكر عليه.

وبخلاف الفرزدق فقد كان جرير « متعفِّفا لا يتعهر، ولا يشرب الخمر، ولا يشهد مجالس القيان، وكان شديد التعصب للإسلام، كثير الظهور بالدين » [3] يأبى الضيم، ولا يسكت عن الأذى.

أما اتصاله بالأمويين فكان أولا بيزيد بن معاوية عندما كان خليفة بالشام، إلا أنه لم يعرف مكانه كشاعر فحل في بلاط الأمويين إلا في خلافة عبد الملك بن مروان، الذي ناله منه حظوة ونوالا كبيرين.

أما معركته الهجائية الشهيرة فقد كانت مع شاعر تميم الكبير الفرزدق، استمرا يتبادلان النقائض قرابة خمسة وأربعين عامًا،

---

[1] – قيل إنَّ أم جرير رأت وَهِي حَامِل بِهِ كَأَنَّهَا ولدت حبلاً من شعر أسود، فَلَمَّا خرج مِنْهَا جعل ينزو فَيَقَع فِي عنق هَذَا فيقتله وَفِي عنق هَذَا فيخنقه حَتَّى فعل ذَلِك بِرِجَال كثيرين، فانتبهت فزعة فأولت الرُّؤْيَا فَقيل لَهَا تلدين غُلَاما أسود شَاعِرًا ذَا شدَّة وَشر وشكيمة وبلاء على النَّاس فَلَمَّا وَلدته سمته جَرِيرًا باسم الْحَبل الَّذِي رَأَتْ أَنه خرج مِنْهَا.

[2] – أبو الفتح العباسي عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ج 02، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، دت، دط، ص266، 267.

[3] – بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص 362.

وأثناء تلك المعركة الشرسة، اصطدم مع شعراء كثيرين، من أشهرهم الأخْطل التغلبي، وله معه نقائض كنقائضه مع الفرزدق، وسُراقة بن مِرداس البارقي واللعين المنقري، وعمر بن لجأ التَّيْمي وعدي بن الرقاع العاملي، والراعي النُّمَيْري وغير هؤلاء الفحول، الذين لولا مهاجاتهم لجرير لما عُرف منهم أكثرهم، يقال إنه لم يوجد شاعر في الجاهلية والإسلام تصدى لمقارعة الشعراء مثل ما كان لجرير، فقد كان أكثر من ثلاثة وأربعين شاعرا ينهشه، لم يثبت له إلا الفرزدق والأخطل.

وقد جعله ابن سلام في الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين، وكان يشبه بالأعشى، وقد اختلف النقاد: أي فحلي تميم أشعر؟ وقد وصل بالناس الخلاف أن تجالدوا بالسيوف، إلا أنهم أجمعوا على رقة النسيب في مطالع قصائده وحسن استهلاله، مما جعل خصمه الألد الفرزدق يحسده على ذلك، وإن كان مكثارًا في الهجاء والفخر دون الأغراض الشعرية الأخرى فيرجع إلى اشتغاله بالشعراء الذين هجوه، فرد بالمثل، ولكن القليل من الغزل [1] والرثاء، كاف ليشهد بمهاراته فيهما، وهو في المدح لا يقل عن الأغراض الأخرى، فبه كان من المقدمين عند بني أمية، نال الاعتراف بالشاعرية من خصومه فمدحه الفرزدق والأخطل، وفضله عن صاحبيه نُصيب الشاعر ومروان بن أبي حفصة، وحتى إنه قال بعضهم : « بيُوت الشّعْر أَرْبَعَة فَخر ومديح ونسيب وهجاء وَفِي كلهَا غلب جرير فِي الْفَخر فِي قَوْله :

| | |
|---|---|
| إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْك بَنو تَمِيمٍ | حَسِبْتَ النَّاسَ كُلُّهُمْ غِضَابَا |

وَفِي الْمَدْح قَوْله :

| | |
|---|---|
| أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطَايَا | وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ |

وَفِي الهجاء قَوْله :

| | |
|---|---|
| فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيرٍ | فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا |

وَفِي النسيب قَوْله :

| | |
|---|---|
| إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ | قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلَانَا » [2] |

وقد نشأ بينه وبين الفرزدق حب متبادل وعلاقة حميمة، وأصبحت معركتهما الهجائية فنًا واحترافًا لا يمنع من الصداقة، والدليل على ذلك مراثي جرير للفرزدق، وبوفاته أُغلقت صفحة النقائض الباقية وطبق كتابها إلى الأبد، فلحق بالفرزدق خصمه الألد بعد ستة أشهر من وفاته، وقد ناهز الثمانين، ودفن باليمامة.

**نموذج من نقائض جرير :**

- في الأخطل وقومه [3]:

| | |
|---|---|
| إنّي حَلَفْتُ، فَلَنْ أُعَافِيَ تَغْلِباً | للظّالِمِينَ عُقُوبَةً، وَنَكَالَا |
| قَبَّحَ الإلهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ، إنَّهَا | هَانَتْ عليّ مَعَاطِساً وَسِبالا |

[1] – حتى إنه يقول عن نفسه : « ما عشقت قط ولو عشقت لشبَّبت، فإذا سمعت العجوز بكت على ما فات من شبابها » الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج01، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ط01، 1420هـ ، ص **113**.

[2] – محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج02، مرجع سبق ذكره، ص379، 380.

[3] – الديوان بشرح محمد بن حبيب، ج01، تح: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط02، 1986، ص 52، 53.

| | |
|---|---|
| المعْرِسُونَ إذا انْتَشَوْا بِبِنَاتِهِمْ | وَالدّائِبِينَ إجَارَةً وَسُؤَالَا |
| وَالتّغْلِبِيُّ إذَا تَنَحْنَحَ لِلقِرَى | حَكَّ اسْتَهُ وَتَمَثَّلَ الأمْثَالَا |
| عَبَدُوا الصَّلِيبَ، وَكَذّبوا بِمُحَمّدٍ، | وَبِجِبرِئِيلَ، وَكذَّبُوا مِيكَالَا |
| لا تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً مِنْ تَغْلِبٍ، | فَالزِّنْجُ أَكْرَمُ مِنْهُمُ أَخْوالَا |
| أَنِسيتَ قَوْمَك بالجَزِيرَةِ بَعْدَمَا | كَانَتْ عُقُوبَتُهُ عَلَيْكَ نَكَالا |
| أَلاَ سَأَلْتَ غُثاءَ دِجْلَةَ عَنْكُمُ، | وَالخامِعَاتُ تُجَرِّرُ الأوْصَالَا |
| حَمَلَتْ عَلَيْكَ حُماةُ قَيْسٍ خَيْلَهَمْ، | شُعْثاً عَوَابِسَ، تَحْمِلُ الأبْطَالَا |

وفي الفرزدق والراعي النميري [1]:

| | |
|---|---|
| لَقَدْ خَزِيَ الفَرَزْدَقُ فِي مَعَدٍّ | فَأَمْسَى جَهْدُ نُصْرَتِهِ اغْتِيَابَا |
| وَلَاقَى القَيْنُ وَالنَّخْبَاتُ غَمّاً | تَرَى لِوُكُوفِ عَيْنَيْهِ انْصِبَابَا |
| أَتُوعِدُنِي وَأَنْتَ مُجَاشِعِيٌّ | أَرَى فِي جَنْبِ لَحْيَتِكَ اضْطِرَابَا |
| فَمَا خِفْتُ الفَرَزْدَقَ قَدْ عَلِمْتُمْ | وَمَا حَقُّ ابْنُ يَرْبُوعَ أَنْ يَهَابَا |
| أَعَدَّ اللهُ للشُّعَرَاءِ مِنِّي | صَوَاعِقَ يُخْضِعُونَ لَهَا الرِّقَابَا |
| أَنَا البَازِيُّ المِطِلُّ عَلَى نُمَيْرٍ | أَتِحْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا انْصِبَابَا |
| إذَا عَلِقَتْ مَخَالِبُهُ بِقَرْنٍ | أَصَابَ القَلْبَ أَوْ هَتَكَ الحِجَابَا |
| تَرَى الطَّيرَ العِتَاقَ تَظَلُّ مِنْهُ | جَوَانِحَ لِلْكَلاَكِلِ أنْ تُصَابَا |
| فَلَوْ وَضَعَتْ فِقَاحُ بَنِي نُمَيْرٍ | عَلَىَ خَبَثِ الحَدِيدِ إذَنْ لَذَابَا |
| فَلَا صَلَّى المَلِيكُ عَلَى نُمَيْرٍ | وَلَا سَقَيْتْ قُبُورُهُمُ السَّحَابَا |
| وَقَدْ جَلَّتْ نِسَاءُ بَنِي نُمَيْرٍ | وَمَا عَرَفَتْ أَنَامِلُهَا الخِضَابَا |
| إذَا حَلَّتْ نِسَاءُ بَنِي نُمَيْرٍ | عَلَى تِبْرَاكَ خَبَّثَتِ التُّرَابَا |
| وَلَوْ وُزِنَتْ حُلومُ بَنِي نُمَيْرٍ | عَلَى المِيزَانِ مَا وَزَنَتْ ذُبَابَا |
| فَصَبْراً يَا تُيوسَ بَنِي نُمَيْرٍ | فَإنَّ الحَرْبَ مُوقِدَةٌ شِهَابَا |
| فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ | فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا |

**أبيات سائرة لجرير في فن النقائض :**

| | |
|---|---|
| إنَّ الذِي حَرَمَ الخِلَافَةَ تَغْلِباً | جَعَلَ النُّبُوَةَ وَالخِلَافَةَ فِينَا |
| مُضَرُ أَبِي وَأَبُو المُلُوكِ وَهَلْ لَكُمْ | يَا خُزْرَ تَغْلِبَ مَنْ أَبٍ كَأَبِينَا! |
| هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةٌ | لَوْ شِئْتُ سَاقَكُمُ إلَيَّ قَطِينَا |
| ألا قَبَّحَ اللهُ الفَرَزْدَقَ كُلَّمَا | أَهَلَّ مُهِلٌّ بِالصَّلاةِ وَكَبَّرَا |

[1] – المصدر السابق، ج02، ص819، 820.

| | |
|---|---|
| فَإِنَّكَ لَوْ تُعْطِي الفَرَزْدَقَ دِرْهَماً | عَلَى دِينِ نَصْرَانِيةٍ لَتَنَصَّرَا |
| التَّغْلِبِيُّ إِذَا تَمَّتْ مُرُوءَتُهُ | عُبْدٌ يَسوقَ رِكَابَ القَوْمِ مُؤْتَجِرُ |
| وَمَا لِتَغْلِبَ إِنْ عَدُّوَا مَسَاعِيهِمْ | نَجْمٌ يُضِيءُ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ |
| إِنِّي انْصَبَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ | حَتَّى اخْتَطَفْتُكَ يَا فَرَزْدَقُ مِنَ عَلِ |
| أَعْدَدْتُ لِلْشُّعَرَاءِ سُمّاً نَاقِعاً | فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الأَوَّلِ |
| لما وَضَعْتُ علَى الفَرَزْدَقِ مِيْسَمِي | وَعَلَى البَعِيثِ جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ |
| زَعَمَ الفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرْبَعاً | أَبْشِرْ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرْبَعُ |
| خُذُوا كُحْلًا وَمِجْمَرَةً وَعِطْرًا | فَلَسْتُمْ يَا فَرَزْدَقُ بِالرِّجَالِ |

ولعلنا إذا أردنا أن نقيم مقارنة بين هؤلاء الشعراء الثلاث، نجد أن « الإطار الذي وُضعت فيه نقائض جرير والفرزدق، أكمل وأدق من الإطار الذي وُضعت فيه نقائض جرير والأخطل بحكم طول المسافة التي شغلتها النقائض الأولى، ثم بحكم أنها أخذت بين الشاعرين شكل مناظرات تامة » [1]، ولعل هذا ما حدا بالقدامى والمحدثين أن يحيطوا نقائض جرير والفرزدق بالأهمية والعناية والدراسة، وخير دليل شرح أبي عبيدة لهذه النقائض شرحا وافيا ذكر فيه بالتفصيل لأيام العرب ووقائعها في الجاهلية والإسلام، أما إذا أردنا أن نحاكم الشعراء الثلاثة إلى الأغراض الشعرية التي قالوا فيها؛ فيظهر الفرزدق متفوقا في الفخر، والأخطل متفوقا في المدح ووصف الخمر، وجرير، فيتفوق في الهجاء والرثاء والغزل، فقد « قِيلَ لِلْفَرَزْدَقِ مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟ قَالَ: كَفَاكَ بِي إِذَا افْتَخَرْتُ، وَبِجَرِيرٍ إِذَا هَجَا، وَبِابْنِ النَّصْرَانِيَّةِ إِذَا امْتَدَحَ » [2]وإن كان كل واحد مجيدا في غرض من الأغراض، فإن أكثر الدارسين أن جريرا، يجيد القول فيها جميعها، لكنه برز فيما ذكرنا، وبخاصة الهجاء ؛ الذي نراه فيها أشد عنفا، وأبعد قعرا، وأنكى جرحا، « فهو حين يصل إليها يشبه الطائر الجارح حين ينقض على فريسته، يريد أن لا يُبقي فيها شيئا، ولعل ذلك ما جعله يلجأ في أحوال كثيرة إلى هتك الحرمات والأعراض، كأنه يريد أن يمزق خصمه تمزيقا » [3]، ولكن قولنا هذا لا يعني تفوقه على صاحبيه في النقائض، لأن الأخيرة، وإن كان الهجاء أبرز غرض فيها، فهي تحتوي كذلك على أغراض أخرى وأبرزها الفخر، فجرير والأخطل كانا كفرسي رهان، يغلب منهما البادئ بالنقيضة، لأنه لا يتقيد بمعان وأوزان معينة وقواف خاصة، ولهذا نجد الأخطل في كثير من نقائضه، التي كان هو البادئ فيها، قد أجاد وفاق براعة جريرا، أما شأن الفرزدق وجرير، فإن الأمر بينهما غير محسوم، فمرة يكون الفرزدق هو المقدم خاصة إذا فخر بآبائه، واستحضر أمجاد قومه، ومرة يكون جرير هو المقدم إذا أفحش وأقذع في الهجاء، ولعل نقائض جرير والفرزدق هي

[1] – شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، مرجع سبق ذكره، ص203.

[2] – أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج04، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط03، 1985، ص 589.

[3] – شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، مرجع سبق ذكره، ص209.

أهم من من نقائض جرير والأخطل، لا « بسبب سبقها في الابتداء [1]، ولا بسبب أنها كانت أطول عمرا [2]، بل بسبب أن قصائدها، كانت أكثر عددا، وأنها أكمل فنًّا وأتمُّ صنعا » [3]

**خصائص شعر النقائض :**

**1**/ اشتراك النقائض في طول قصائدها واستيعاب معانيها، وبخاصة نقائض جرير والفرزدق، حيث إنَّ كثيرا منها يزيد عدد أبياتها على السبعين بيتا، وهذا مما تنفرد به نقائض العصر الأموي على نقائض العصر الجاهلي والإسلامي.

2/ غلبة الفخر القبلي على النقائض، خاصة عند الفرزدق في فخره بآبائه وأجداده، بحيث تأخذ في أكثرها نصف القصائد، وجرير في مناقضته للأخطل، لأن جريرا ينتهي نسبه لمضر، والأخيرة أصل قبيلة قريش؛ قبيلة النبوة والخلافة، بخلاف الأخطل التغلبي .

3/ فشو الفحش والابتذال والسفاهة في النقائض « حتى لتكاد تنبو عن الأسماع، وبهذه الفواحش كان كل شاعر منهما يرمي بها نساء الشاعر الآخر، دون أي اعتبار ديني أو خلقي » [4] وقد كان جرير أفحش الثلاثة، وأمعنهم في تصوير الشعراء ونسائهم وأمهاتهم تصويرا مقذعا موجعا، ومعلوم أنَّ هذا الفحش لم يكن يأخذه المتخاصمون مأخذ الجد، وإلا لكان أقل ما جاء منه خليق بأن تراق على جوانبه الدماء وتثور الحروب.

4/ التأثّر بأسلوب المناظرة الأمر الذي مكَّن أصحاب النقائض من « القدرة على الحوار والجدل، ومكّن في شعرهم لفكرة التعليل والتَّسبيب ووضع المقدمات، وتلوين الهجاء بألوان عقلية حديثة » [5] ويعود هذا التأثر إلى تطوّر الحياة الفكريّة والعقليّة في البصرة، وانتشار الفرق الكلامية كالشيعة والجبرية والقدرية والمرجئة، وتأثّر الشعراء بالعلماء والفقهاء المسلمين.

5/ اختلاف الشّعراء الثلاثة في طريقة التّعبير، فمنهم من اعتمد الخطاب المباشر، أو الحديث بلغة الجماعة الغائبين، أو بلغة الفرد.

6/ اعتماد الشّعراء على أسلوب السّخرية والتهكم في نقض حجج الخصم، وفي تقديم الصور والمعاني، ولجرير القدح المعلى واليد الطولى، ولهذا فاق صاحبيه في فنِّ الهجاء.

7/ اتساع المعاني وتعقيدها، ففيها الجاهلي والإسلامي، وفيها البدوي والمولَّد، مع ما فيه من تلوين ديني وعقلي وسياسي وقبلي.

8/ الاتكاء على المعطى الديني والمعاني الإسلامية عند جرير والفرزدق، وغابت عن الأخطل لنصرانيته، ولهذا « نرى

---

[1] – يحددُ الدارسون بدايات النقائض بين جرير والفرزدق بين عامي ( 65هـ –67هـ )، وجرير والأخطل في 73هـ ( في زمن ولاية بشر بن مروان على العراق )

[2] – نقائض جرير والفرزدق دامت زهاء خمسة وأربعين عاما، وانتهت بوفاة الفرزدق، أما جرير والأخطل فقاربت العشرين عاما، وانتهت بوفاة الأخطل.

[3] – سجيح الجبيلي وقصي الحسين، الفنون الأدبية في العصر الأموي، مرجع سبق ذكره، ص 373.

[4] – سجيح الجبيلي وقصي الحسين، الفنون الأدبية في العصر الأموي، مرجع سبق ذكره، ص 363.

[5] – شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، مرجع سبق ذكره، ص 185.

الفرزدق يفخر بنفسه وبقومه، وينسج لنفسه صورة تتصل اتصالا واضحا بأسباب الدين الإسلامي وقيمه ومظاهره »[1] وهو ما ينفيه عنه جرير، ويكشف تهتك الفرزدق ومجونه، وتكالبه على النساء، ولبسه لبوس الدين كذبا وبهتانا، وفي المقابل نجده يحط من قيمة الأخطل ويعيره بنصرانيته وعبادته للصليب وأكله الخنزير وقرعه النواقيس ولبسه برانس الرهبان وإتيانه النساء في المحيض وغير ذلك، ولهذا ضيقت النصرانية على هجاء الأخطل، في حين وسع الإسلام على هجاء جرير.

[1]- سجيح الجبيلي وقصي الحسين، الفنون الأدبية في العصر الأموي، مرجع سبق ذكره، ص 364.